البحث رقم
2

تفسير سورة الأنبياء عند الإمام النورسي دراسة موضوعية

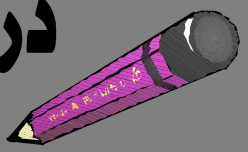

الدكتور

ماجد محمد خليفة القيسي

تدريسي في كلية العلوم الإسلامية/ الرمادي

قسم

التفسير وعلوم القرآن

ملخص بحث

الحمد لله الذي به تتم الصالحات وبه تسهل الصعوبات وجعل رسالة سيدنا محمد ﷺ آخر الرسالات وأيده بأعظم المعجزات منها القران المبين، وبعد في نهاية بحثي هذا لا يسعني إلا أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وهي كالآتي:

- لقد انبثق الإمام النورسي رحمه الله انبثاق البدر في حلكات الظلام وأدر دوراً تجديدياً عظيماً في تاريخ تركيا الحديثة من رسائل النور وما حوته من تفسير.
- في الآية الكريمة دلالة على أن الملائكة هم عباد مكرمون، فهم أجسام نورانية لطيفه وهم امة عظيمة، فان قسم العاملين منهم يحملون ويمثلون وينفذون الشريعة التكوينية.
- أن خلق السماء قبل الأرض أو خلقتا معاً وانشقتا من مادة، وان للنار درجة تحترق ببرودتها، أي تؤثر كالاحتراق، فالله سبحانه يخاطب البرودة بلفظ سلاماً.
- بيان كيفية تسخير الجن والشياطين لسيدنا سليمان عليه السلام.
- وجوب الاقتداء بصبر سيدنا أيوب عليه السلام لكل مسلم.
- يجب على كل مسلم أن يدعو بأفضل دعاء وهو دعاء سيدنا يونس عليه السلام، وطرق باب الرحمة من رب العالمين.
- جعل الصلاة عليه وسيلة الوصول إليه، وأساس مفتاح الخزينة هو الصلاة على الرسول محمد ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

Summary

God thanks who by we see actionable and difficulties' lowland and getting we master Mohammed letter after letters and carrying miracles greater such as Quran Karim. After this research in beatific is explain important results in this research:

- Imam Alnuesy god clemencies full moon dribble in obscurity and working re-creating great in turkey modern histories by letters illuminator from Clarifying
- In Quran Karim denotation on the angles have entertained serfs, Catching illuminator bodes nice and them great nation, and pervades Sharia.
- Create empyreal before earth or within and calving from article, and fire keeping degree was swelling in has cold, The god see too cold reading salaam.
- Explain was working the gin and tempter too we master Silliman his salaam.
- Working with methodize embalmment we master aeob his salaam.

All Moslem are invocation good like invocation we master yones his salaam.

المقدمة:

الحمدُ لله له كلُّ شيء سجد، وخلق الخلق بقدرته، ومهد لهم سبلهم، وأحصى لهم عددا، وجعل الجنة للمؤمنين، والنار للكافرين، وهو الفرد الصمد، والصلاة والسلام على أفضل خلقه محمد ﷺ وعلى آله وصحبه بلا عدد... أما بعد:

فإن القرآن الكريم هو حبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم من قال به صدق ومن حكم به عدل، ومن عمل به فاز، ومن دعا إليه هُديَ إلى صراط مستقيم، وقد تكفل الله عز وجل بحفظ هذا الكتاب من التحريف والتبديل قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١).

رأيتُ أن أطالع هذه السورة على يد عالم جديد زاهد، هو الإمام النورسي «رحمه الله» إذ تناولت هذه السورة، في كليات رسائل النورسي، وهي نور موحى من الآيات القرآنية، ولم تكتب من علوم الشرق ولا من فنون الغرب، بل هي رسائل معنوية للقرآن الكريم، وهي برهان باهر لكتابه العزيز، وتفسير قيم له.

حيث تناول تفسير بعض آيات هذه السورة في كليات رسائل النور التي حولت إلى عدة مراجع وكان اعتمادي عليها في البحث، وهذا الذي جعلني عدم الاعتماد على المصادر الأخرى من التفاسير، لأن الموضوع مختص في تفسير هذه السورة عند الإمام النورسي فقط، لأن رسائل النورسي تفسير لمعاني وألفاظ القرآن الحكيم التي تعالج القضايا الإسلامية في حياة الفرد، ومن خلال دراستي لرسائل النور أحببتُ بيان نهج الإمام في تفسير سورة الأنبياء فوجدتُ منهجاً جديداً في ربط الآيات القرآنية مع بعضها، وأودُ الإشارة إلى أنهُ عندما أذكر كلمة الإمام في كتابة البحث فإني أقصد بذلك الإمام النورسي «رحمه الله». ولا بد من توضيح أمر لمن لم يطلع على هذه الرسائل بأن صاحبها رحمه الله. تناول تفسير بعض السور كاملة. وهذا وجدته قليلاً، والغالب على باقي السور يتناول بعض آياتها وهذا كثير في الرسائل. بل وجدت أنه تناول تفسير بعض الآية، ومنها السورة التي بحثت فيها، فعملت على

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

تقسيم بحثي حول تفسير هذه السورة إلى عدة مطالب، فكان المدخل نبذة مختصرة عن حياة الإمام النورسي «رحمه الله».

فالمطلب الأول: تكلمت فيه عن إثبات وجود الله سبحانه، وتناولت في **المطلب الثاني:** معرفة الخلائق بقدرته سبحانه وتعالى، وفي **المطلب الثالث:** تحدثت فيه عن صفات الملائكة عليهم السلام، وفي **المطلب الرابع:** كيفية التفكر في خلق السماوات والأرض، وفي **المطلب الخامس:** بيان معجزات سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفي **المطلب السادس:** بيان تأثير القليل من العذاب، وفي **المطلب السابع:** تكلمتُ فيه كيفية تسخير الجنّ والشّياطين لسيدنا سليمان عليه السلام، وفي **المطلب الثامن:** وضحت قصة مناجاة سيدنا أيوب (عليه السلام) لربه عز وجل، وفي **المطلب التاسع:** بينت فيه دعاء سيدنا يونس(عليه السلام)، وفي **المطلب العاشر:** تناولتُ بيان عظمة الله وقدرته، والمطلب **الحادي عشر** وهو الأخير: تكلمت فيه عن المرسل رحمة للعالمين نبينا محمد ﷺ، ثم ختمت البحث **بخاتمة وقائمة بأهم المصادر**، نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزءٍ من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضيء السبيل القويم النوراني لفهم القرآن الكريم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباحث

نبذة مختصرة عن حياته

اسمهُ ومولدهُ ونشأتهُ:

هو الإمام سعيد بن ميرزا بن علي بن خضر بن ميرزا خالد بن ميرزا شان، ولد سنة ١٢٩٣هـ، في قرية (نورس) من قضاء (خيزان) التابع لولاية (بتليس) شرق الأناضول في تركيا، وهو من أسرة كردية صالحة تقية تعمل بالفلاحة والزراعة، فكان أبوه رجلاً ورعاً وعابداً، وأمه امرأة صالحة تدعى (نورية)، وهو من وسط عائلة عابدة عالمة، فكان أخوه الكبير الملا عبد الله، عالماً يقوم بمهمة التدريس لطلاب العلم.

وبدأ في وقت مبكر من طفولته بطلب العلم إذ حباه الله بذكاء، وكان يرتاد مجالس العلماء في قرية (طاغ) على يد أستاذه (محمد أفندي) سنة ١٨٨٢م، وكان عمره تسع سنوات، وتلقى علوماً كثيرة منها النحو والصرف وغيرهما على يد أخيه الأكبر «الملاّ عبد الله»، ثم واصل الدراسة وطلب العلم في قرية «بيرمس»، ثم واصل رحلته العلمية بالتنقل في القرى والمدن بين العلماء والفقهاء يتلقى على أيديهم علوم الشريعة الإسلامية وعلوم العربية مما جعله يحفظ عن ظهر قلب أكثر من ثمانين كتاباً من أمهات هذه العلوم(١)، وعند بلوغ الإمام النورسي سنّ الثالثة والعشرين من العمر شدّ الرحال إلى استانبول ليقدم مشروعاً لإنشاء جامعة إسلامية، باسم مدرسة الزهراء التي تقوم على نشر حقائق الإسلام.

واشتهر النورسي بتأليف رسائل في موضوعات العقيدة الإسلامية، كلياتها وجزئياتها، سماها برسائل النور، فتلك الرسائل مستوحاة من القرآن الكريم؛ اعتمدها لأنه يرى بأنه يظم بين دفتيه حقائق جميع العلوم، وراعى في تفسيره مستويات

(١) ينظر: سعيد النورسي؛ تراثه وفكرة، عبد الله عزت حمه صالح، رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة، مجازه من كلية الشريعة – جامعة بغداد، سنة ١٩٨٩م: ٢١، والنورسي الرائد الإسلامي الكبير، للدكتور محسن عبد الحميد، ط١٢، ومؤلف رسائل النور بديع الزمان سعيد النورسي لمحات من حياته وآثاره، دون مؤلف: ٤، وتفسير السبع المثاني عند الإمام النورسي، للشيخ طارق خليفة درج، بحث مقدم إلى جامعة الأنبار – كلية العلوم الإسلامية، ٢٠٠٩: ص٣.

الناس لأنه يخاطب الطبقات البشرية كافة، واعتماده أيضاً على السنة النبوية المطهرة وعدّ أن اتباع السنة هو الأساس الذي يقوم عليه المفسر الذي يقوم بالتفسير، ووجدتُ أن الإمام قد وضع شروطاً للمفسر، منها أن يكون عالماً حقاً وصاحب فكر واسع واطلاع شامل. واجتهاداته الشخصية بتفسيره، من أجل أن تبقى حقيقة المفسر صافية نقية، وتبين لي من خلال دراستي أنّ عدد تلك الرسائل مائة وثلاثون رسالة باللغة التركية وهي موزعة على الآتي: الكلمات، وتضم ثلاثاً وثلاثين رسالة «كلمة» في ستمائة وخمسين صفحة، المكتوبات وتضم ثلاثاً وثلاثين مكتوباً في أربعمائة وخمسين صفحة، واللمعات تضم ثلاثاً وثلاثين لمعة في أربعمائة وثلاثين صفحة، والشعاعات وتضم خمسة عشر شعاعاً في ستمائة وأربعين صفحة، والملاحق وغيرها[١]، وهناك رسالة كتبها باللغة العربية وهي: إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، وإحدى عشرة رسالة ضمها في المثنوي العربي النوري والصيقل الإسلامي، والخطبة الشامية.

والجدير بالذكر أن تأليف رسائل النور جميعها استغرق وقتاً من سنة ست وعشرين وتسعمائة وألف إلى سنة خمسين وتسعمائة وألف ميلادية، وهناك رسائل أخرى مستغلة من كتب صغيرة منها «المدخل إلى النور» و«مفتاح العالم النور» و«ترجمة حياة وسيرة ذاتية» و«سنوحات» و«مناظرات»[٢]، فهذه الرسائل بمجموعها ترشد إلى دروب النفس الإمارة بالسوء، فضلاً عن أنها توصله إلى أصول فكر الأستاذ النورسي، فقد وفق الله العلي القدير الشيخ إحسان قاسم الصالحي على ترجمة كليات رسائل النور كاملة إلى اللغة العربية في تسعة مجلدات، وطبعت في تركيا والقاهرة، وكذلك وقفت الأخت شكران واحد (مريم ويلد) على ترجمة:

---

(١) ينظر: النورسي الرائد الاسلامي الكبير، للدكتور محسن عبد الحميد: ص٣٣، وسعيد النورسي تراثه وفكرة، عبد الله عزت: ٥٣، مؤلف رسائل النور بديع الزمان سعيد النورسي، لمحات من حياته وأثاره، دون مؤلف: ٢٣.

(٢) كليات رسائل النور، الشعاعات، سعيد النورسي، ترجمة: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٢، مصر: ٤/٤٩٠.

الكلمات المكتوبات واللمعات والشعاعات وإشارات الإعجاز من كليات رسائل النور، كما ألفت مجلداً كاملاً في تاريخ حياة الأستاذ النورسي.

ويذكر الإمام رحمه الله تعالى سبب إطلاق اسم رسائل النور: إن كلمة النور قد جابهتني في كل مكان طوال حياتي، منها قريتي اسمها: نورس، واسم والدتي المرحومة «نورس»، واسم أستاذي في الطريقة النقشبندية: سيد نور محمد، وأحد أساتذتي في الطريقة القادرية: نور الدين، وأحد أساتذتي في القرآن: نوري، وأكثر من يلازمني من طلابي يسمون نور، وأكثر ما يوضح كتبي وينورها هو التمثيلات النورية، وأكثر ما حلّ مشكلاتي في الحقائق الإلهية هو اسم النور من الأسماء الحسنى، ولشدة شوقي نحو القرآن وانحصار خدمتي فيه فإن أمامي الخاص هو: سيدنا عثمان بن عفان ذو النورين ﷺ(١).

أما عن وفاة الإمام النورسي فقد مرض في شهر رمضان، ومع ذلك بقى يوجه تلامذة النور ويرشدهم إلى طريق الخير والصلاح، وبعد ذلك اشتدّ عليه المرض حتى توفي في الخامس والعشرين من رمضان سنة ١٣٧٩هـ/ الموافق ٢٥ من رمضان سنة ١٩٦٠م، سلم روحه الطاهرة إلى العلي القدير.

فأيّ فضل ورحمة وأجرٍ لمن يتوفاه العليم القدير في شهر رمضان، شهر المغفرة والرحمة والعتق من النيران(٢).

---

(١) ينظر: قصة رحيل الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله في ذكريات عن سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي: ١٣٣-١٥٠، والنورسي الرائد الإسلامي الكبير الكبير، للدكتور محسن عبد الحميد، مطبعة الزهراء الحديثة المحدودة سنة ١٩٨٧م: ٣١-٣٢.

(٢) ينظر: قصة رحيل الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله في ذكريات عن سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم: ١٣٣-١٥٠.

المطلب الأول:

إثبات وجود الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[١]، إن الآية الكريمة تصور أنه مهما كان الإنسان جاداً في تجربة القصور، فيرجع خائباً، مما يدلنا على أن النظام والانتظام هما في غاية الكمال، أي أن انتظام الكائنات شاهد قاطع على الوحدانية، أما بصدد الحدوث فقد قال علماء الكلام، إن العالم متغير، وكل متغير حادث، وكل محُدث لابد له من محُدث، أي: موجد، لذا فالكون لابد له من موجد قديم[٢].

يقول الإمام: ونحن نقول: نعم، إن القول حادث، حيث نشاهد في كل عصر وفي كل سنةٍ بل في كل موسم، بل في كل يوم، ما يعرض أمام أرباب الشعور ثم يأخذهُ إلى الغيب، ويأتي مكانه بآخر، وهكذا ينشر الواحد تلو الآخر في تعاقب مستمر، معلقاً تلك العوالم بشكل متسلسل على شريط الزمان[٣].

فترى الربيع معجزة باهرة من معجزات القدير الجليل، يوجد فيه الأشياء من العدم ويجدد تلك العوالم الشاسعة من غير شيء مذكور، فالذي يبدل تلك العوالم ويجدها ضمن العالم الأكبر، ليس إلا ربَ العالمين الذي بسط سطح الأرض مائدة عامرة لضيوفه الكرام، أما موضوع الإمكان فقد قال المتكلمون: إن الإمكان متساوٍ للطرفين، أي إذا تساوى العدم والوجود بالنسبة إلى شيءٍ ما، فلا بد من مخصص ومرجع وموجد، لأن الممكن لا يمكنه بداهة أن يوجد ممكناً آخر مثله.

أي لا يمكن أنْ يوجد الممكن الآخر، لأن وجوده يكون سلسلة دائرة مخلوقة من الممكنات فلا بد من واجب الوجود أن يوجد الأشياء كلها[٤]، وهذه نافذة يطل منها علماء الكلام الذين سلكوا في سبيل إثبات وجود الله سبحانه طريقاً مدعماً بأدلة

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.

(٢) كليات رسائل النور، الكلمات، سعيد النورسي: ٨٢٥/١.

(٣) المصر نفسه: ٨٢٤/١.

(٤) كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٢، مصر، سنة ١٩٩٢م: ١٥٤/٥.

الإمكان والحدوث، ونحن إذ نحيل تفاصيل تلك الأدلة إلى مظانها من أمهات كتب العلماء الأعلام كشرح المواقف وشرح المقاصد نذكر هنا شعاعات من فيض نور القرآن غمرت القلب ونفذت إليه من خلال هذه النافذة، وإن الآمرية أو الحاكمية تقتضي رفض المنافسة، ورد المشاركة، ودفع المداخلة أياً كانت، ومن هنا نقول: إنه إذا وجد مختاران في قرية اختل نظام القرية، واضطرب أمن الناس وراحتهم، وإذا ما كان هناك مديران في ناحية أو محافظة واحدة، فإن الحابل يختلط بالنابل، وإذا ما وجد سلطانان في بلاد الفوضى تضرب أطنابها في أركان البلاد كلها، ويسببان من القلاقل والاضطرابات ما لا يحمد عقباه(١)، ثم أعلم: أن الصانع كما أنه واجب الوجود وواحد، كذلك أنه متصف بجميع الأوصاف الكمالية، لأن ما في المصنوع من فيض الكمال إنما هو مقتبس من ظل تجلي كمال صانعه، فبالضرورة يوجد في الصانع جل جلاله من الجمال والكمال والحسن ما هو أعلى بدرجات غير متناهية من عموم ما في عموم الكائنات من الحسن والكمال، أما دليل التوحيد الذي أشار إليه «اعبدوا» على تفسير ابن عباس ﷺ أي وحدوا ربكم، فأعلم: أن القرآن المعجز البيان ما ترك من دلائل التوحيد شيئاً(٢).

دليل برهان التمانع دليل كاف ومنار ينير على أن الاستقلال خاصة ذاتية ولازم ضروري للإلوهية، ثم في هذه الآية رمز إلى دليل لطيف على التوحيد وهو: أن تعاون الأرض والسماء ومناسبتهما في توليد الثمرات، لتعيش عليها نوع البشر وجنس الحيوان ومشابهة آثار العالم وتعانق أطرافه(٣)، وإن تشابه آثار العالم، وتعانق أطرافه، آخذ بعضه بيد بعض، وتكميل بعضه انتظام البعض الآخر، وتجاوب الجوانب وتلبية بعض لسؤال بعض، ونظر الكل إلى نقطة واحدة، وحركة

(١) ينظر: كليات رسائل النور، صقيل الإسلام، سعيد النورسي: ١٣٣/٨.

(٢) تنوير المقباس في تفسير أبن عباس، لعبد الله ابن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ)، تحقيق مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان: ١-٥.

(٣) كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، سعيد النورسي: ١٥٤/١.

الكل بالانتظام على محور نظام واحد، تلوح بوحدانية الصانع بل تصرح: بأن صانع هذه الماكنة الواحدة واحد وتتلو على الكل:

وَفـــي كُـــلِّ شَـــيءٍ لَـــهُ آيَـــةٌ

تَـــدُلُّ عَلـــى أَنَّـــهُ واحِـــدُ[١]

فلئن كان الإنسان الذي هو عاجز ومحتاج إلى معاونة الآخرين، والذي يحمل ظلاً جزئياً ضعيفاً من الآمرية أو الحاكمية، لا يقبل مدخلة أحد من مثيله في شؤونه. ويرد المنافس، رداً شديداً، نعم، لئن كان الإنسان العاجز هذا شأنه فكيف بآمرية القدير المطلق وحاكمية السلطان الأعظم رب العالمين؟

قس بنفسك كيف سيسود قانون رد المداخلة ويهيمن على الكون كله، أي أن الوحدة أو الإنفراد من لوازم الإلوهية، ومقتضى الربوبية، التي لا تنفك عنها فإن رمت برهاناً قاطعاً على هذا وشاهداً صادقاً عليه، فدونك النظام الأكمل والانسجام الأجمل المشاهدان في الكون، فتلمس النظام البديع سائداً في كل شيء ابتداء من جناح ذبابة وانتهاءً بقناديل السماء، حتى يجعل هذا النظام المتقن العقل مشدوهاً أمامه ويردد من إعجابه: سبحانه تعالى... ما شاء الله كان... تبارك الله... ويهوي ساجداً لعظمة مبدعه، فلو كان هناك موضع ولو بمقدار ذرة لشريك مهما كان، أو مدخلة في شؤون الكون مهما كان نوعها لفسد نظام السماوات[٢].

فما دامت الحاكمية الواحدة المطلقة حقيقة كائنة، وهي موجودة، فلا بد أن الشرك لا حقيقة له، ذلك لأن الحقيقة الجازمة تفيد بأنه لو تدخلت أيدٍ متعددة في مسألة معينة وكان لها النفوذ، لاختلطت المسألة نفسها، فلو كان في مملكة ما حاكمان، فأن النظام يفسد ويختل وتتحول الإدارة إلى هرج ومرج، والحال أن هناك نظاماً رائعاً جداً، يسري ابتداء من جناح البعوضة إلى قناديل السماء، ومن الخلايا

(١) كليات رسائل النور، صقيل الإسلام، سعيد النورسي: ١٣٣/٨.

(٢) كليات رسائل النور، الكلمات، سعيد النورسي: ٨٢٤/١.

الجسمية إلى أبراج الكواكب والسيارات، مما لا يمكن أن يكون للشرك فيه أي تدخل ولو كان بمقدار ذرة(١).

فهذه الآية الكريمة: تقطع أساس الشرك والاشتراك ببراهين دامغة، فقد اثبت إثباتا قاطعاً أن الذي يؤله الطبيعة يضطر إلى قبول آلهة غير متناهية لإنكاره الإله الواحد، فضلاً عن أن كل أله قادر على كل شيء وضد كل إله مثله.. وذلك لينتظم الكون والحال أنهُ لا موضع للشريك قطعاً بدءاً من جناح ذبابة إلى المنظومة الشمسية ولو بمقدار جناح الذباب، فكيف يتدخل في شؤونه تعالى غيره(٢)، فالنظام الرصين في الكون، وال| انتظام الرائع في المخلوقات كافة والموازنة الدقيقة بين الموجودات... يظهر لنا التجلي الأعظم الاسم الفرد ويشهد شهادة واضحة على الوحدانية(٣).

(١) كليات رسائل النور، الشعاعات، سعيد النورسي: ١٩٥/٤.

(٢) كليات رسائل النور، ملحق بارلا، سعيد النورسي: ٦٩/٧.

(٣) كليات رسائل النور، اللمعات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٢، مصر، سنة ١٩٩٣م: ٥٥١/٣.

المطلب الثاني:

معرفة الخلائق بقدرة الله سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾(١).

فسبحان من ظهر في كل شيء لُطفهُ ويعَّرف الخلائق قدرته، ويتعّرف متودّداً إلى عباده بتزيينات مصنوعاته جلّ جلالُه ولا إله آلا هو ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾(٢).

إن ما يشاهد من ترتيب أمثال التزيين القصدي على جميع المتخلفات يشهد، بأن من زين قصر العالم بمزينات ألوان الأنواع هو الذي خلق لا زماته وأساسه وأجزاءه، لعمرك إن التزيين في الصنعة من أهم المقاصد المهمة لمعرفة الصانع، ومن أشف مرايا التودد والتعرف، ومن ألطف عناوين التحبب، فان شئت فانظر مما لا يتناهى من الأمثلة إلى هذه الواحدة وهي: الزهرة الصفراء الشمسية المتبرقعة ليلاً والمتبرجة نهاراً، الشابة من أول الربيع إلى آخر الخريف، صيرها صانعها مسكناً لطيفاً نظيفاً لبعض الحوينات اللطيفة تجول مسبحات جماعة منها في واحدة منها كأنها حديقة لها أو قصر أو قرية(٣).

اعلم أن المصائب التي تصيب المعصوم من الحيوان والإنسان، يجوز أن يكون لها أسباب تدق عن فهم البشر، مثلاً: إن الشريعة الفطرية التي هي دستور المشيئة لا تنظر إلى العقل حتى يسقط التكليف بها عند عدم العقل، بل تنظر إلى القلب والحس، بل والاستعداد أيضاً فتجازي على أفعالها وقد نشاهد الحيوان كاملاً في حسن النفس، والصبي بالغاً في حسن القلب بل حسن طفلك، أكمل من عقلك وأشد تيقظاً، إذ تظلم يتمياً بالضرب ولا يمنعك عقلك، وصبيُك الناظر إليك يبُكيه حسن شفقته لو كان هو لا نزجر، فإذا كان هذا هكذا، فالصبي الذي يمزق للتهوس والتلهي نحلة مسكينة، ولم يسمع نهي حسن شفقته الحساسة، فأصيب بأن انكسر رأسهُ–

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٣.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٧٣.

(٣) كليات رسائل النور، المشنوي العربي النوري، سعيد النورسي، تحقيق إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٢، مصر، سنة ٢٠٠٣م: ٤٤٩/٦.

استحق، فيضرب الإمام مثلاً: إن النمرة تحس في نفسها على شبلها شفقة شديدة ومع رفيقها حسن حماية، فلا يمنعها هذان الحسان من تمزيق الظبية المسكينة فمزقتها، ثم أصيبت هي ببندقة[١] الصياد مثلاً، أفلا تكون مستحقة ؟ إذ رزقها الحلال أموات الحيوانات لا إحياؤها، على أن هذا مبني على توهم مالكية الحيوانات لأنفسها، والحق أن هذا باطل كما مر سابقاً، وأن المالك الحقيقي هو مالك الملك ذو الجلال والإكرام يتصرف في ملكه كيف يشاء وهو الفاعل المختار الفعال لما يريد[٢].

(١) البندق: كل ما يرمى به رصاص كروي الشكل يستعمل للصيد عموماً، ومنه البندقية المعروفة وجمعه بنادق، القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان: ٨٠٢، ومختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق حمزة فتح الله، الرسالة العالمية: ٧٠.

(٢) كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، سعيد النورسي: ١٦٣/٦.

المطلب الثالث:

كمال عبودية الملائكة لله جل جلاله

قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾[١]، فإن لم يكن هناك عباد الله المسمون بالملائكة يأخذون بزمام هذه القوانين ويظهرونها ويمثلونها، فلا يتعين لتلك القوانين والنواميس أي وجود كان، ولا تعرف لها هوية، فهي ليست حقيقية خارجية فقط، والحال أن الحياة حقيقة خارجية، والأمر الوهمي لا يمكن أن تحمل عليه حقيقة خارجية، فيستنتج الإمام من هذا أنه: ما دام أهل الحكمة وأهل الدين وأصحاب العقل والنقل متفقون ضمنياً على أن الموجودات لا تنحصر في عالم الشهادة هذا، وأن عالم الشهادة الظاهر الجامد الذي لا يكاد يتفق مع إقامة الأرواح وتشكلها قد تزين بهذا العدد الهائل من ذوي الأرواح والأنسام، لذا فالوجود لا يمكن أن يكون منحصراً فيه، بل هناك طبقات أخرى كثيرة من الوجود، بحيث يصبح عالم الشهادة بالنسبة لها ستاراً مزركشاً، ومادام عالم الغيب وعالم المعنى ملائمين للأرواح كملائمة البحار للأسماك فلا بد أنهما يزخران بأرواح ملائمة لهما، ولما كانت جميع الأمور قد شهدت على وجود معنى الملائكة، لذلك فلا ريب أن أحسن صورة لوجود الملائكة والحقائق الروحانية وأفضل حال وكيفية لها، بحيث تستعينها العقول السليمة وتستحسنها، هو بلا شك ما شرحه القرآن الكريم، وبينه بوضوح بذكر الملائكة بأنهم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ وقوله ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[٢]، فهم أجسام نورانية لطيفة تنقسم إلى أنواع مختلفة، نعم، فكما أن البشر هم أمة يحملون ويمثلون وينفذون الشريعة التكوينية الآتية من صفة الإرادة[٣].

إن اتفاق كل الكتب السماوية وجميع الأديان، منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام على وجود الملائكة وعلى عبودتيهم، وإن ما روي من الروايات الكثير المتواترة من التحدث مع الملائكة والمحاور معهم خلال جميع العصور، اثبت إثباتا قاطعاً وجود

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٦.

(٢) سورة التحريم، الآية ٦.

(٣) كليات رسائل النور، الكلمات، سعيد النورسي: ٦٠٢/١.

الملائكة وعلاقتهم معنا، بدرجة ثبوت وجود الناس الذين لم نرهم في أماكن أخرى، روى أبو داود بسند صحيح أن النبي محمد ﷺ قال: (أُذن لي أن أتحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش، ومن شحمة أذنه وعاتقة خفقان الطير سبعمائة عام فيقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت)(١).

فيعلن كل مصنوع بوحدانية الخالق سبحانه وتصرفه وإيجاده وربوبيته وخلافيته وقدسيته، كذلك فانه سبحانه يخلق ملائكة في أرجاء الكون كله ليقوموا بألسنتهم الذاكرة الحامدة، بتسبيحات يؤديها كل مخلوق بلسان حاله بلا شعور منه، فالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم، وليس لهم إلا العبودية الخالصة، وليس لهم أي إيجاد كان، ولا دخل لهم دون إذن، ولا تكون لهم شفاعة دون إذن منه سبحانه، لذا نالوا شرف: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾(٢) ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(٣) بيان الصنعة الإلهية مهللين لرحمتها الواسعة بلسانهم الخاص، وقسم منهم يمتطون ظهور الكواكب السيارة فيسبحون في فضاء الكون معلنين للعالم اجمع عبوديتهم بالتكبير والتهليل أمام عظمة الربوبية وعزتها وجلالها(٤).

وأنصت إليهم ماذا يقولون واعتبر.. أنهم يقولون: قوله ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾(٥). انظر إلى أجمل صورة للملائكة في فردوس القرآن.. فكل آية من آيات التنزيل شرفة(٦)، ومن هذه الشرفات كانت تمهيداً كي يحضر القلب للقبول، ويلزم النفس بالتسليم وهيئ العقل إلى الإذعان، فإن كنت قد فهمته، وكنت ترغب في مقابلة الملائكة حقاً، فتهيأ وتطهر من الأوهام الرديئة،

---

(١) سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر: ٢٣٢/٤ برقم (٤٧٢٧).

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٢٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٦.

(٤) ينظر: كليات رسائل النور، الشعاعات، سعيد النورسي: ٣٢٨/٤.

(٥) سورة الجن، الآيتان ١-٢.

(٦) ينظر: كليات رسائل النور، الكلمات، سعيد النورسي: ٦٠٧/١.

فدونك عالم القرآن الكريم مفتحة أبوابه، فإن جنة القرآن مفتحة الأبواب دائماً، ثم أنصت إلى الثناء عليهم: قوله تعالى ﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾[1]. وإن كنت ترغب في مقابلة الجن فأدخل حصن سورة: قوله ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾[2].

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٦-٢٧.

(٢) سورة الجن، الآية ١.

المطلب الرابع:

بيان قدرته سبحانه وعلمه وحكمته للكافرين

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾(١).

فالقرآن الذي هو بحر الحقائق، آياته الجليلة غواصة كذلك في البحر تكشف عن الكنز، إلا أن عيونها مفتحة بصيرة تحيط بالكنز كله، وتبصر كل ما فيه، لذا يصف القرآن الكريم بآياته الجليلة ذلك الكنز العظيم وصفاً متوازناً يلائمه وينسجم معه فيظهر حسنه الحقيقي وجماله الأخاذ، فمثلاً: أن القرآن الكريم يرى عظمة الربوية الجليلة(٢)، أعلم أن هذه الآية تدل على أن خلق الأرض قبل السماء، وأن آية ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾(٣) تدل على أن خلق السماء قبل الأرض، وأن آية ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ تدل على أنهما خلقتا معاً وانشقتا من مادة، وأعلم ثانياً أن نقليات الشرع تدل على أن الله تعالى خلق أولاً جوهرة أي مادة ثم تجلى عليها فجعل قسماً منها بخاراً وقسماً مائعاً، ثم تكاثف المائع بتجليه فأزيد، ثم خلق الأرض أو سبع كرات من الأرضين من ذلك الزبد فحصل لكل ارض منها سماء من الهواء النسيمي، ثم بسط المادة البخارية فسوى منها سموات زرع فيها النجوم فانعقدت السماوات مشتملة على نويات النجوم، وأن فرضيات الحكمة الجديدة ونظرياتها تحكم بأن المنظومة الشمسية أي مع سمائها التي تسبح فيها كانت جوهراً بسيطاً، ثم انقلب إلى نوع بخار، ثم تحصل من البخار مائع ناري، ثم تصلب بالتبرد منه قسم، ثم ترامى ذلك المائع الناري بالتحرك شرارات وقطعات انفصلت فتكاشفت فصارت سيارات منها أرضنا هذه(٤).

إن كلمة رتقاً في هذه الآية تفيد لمن لم يتلوث بالفلسفة: السماء كانت صافية لا سحاب فيها، والأرض جدباء لا حياة فيها، فالذي فتح أبواب السماء بالمطر وفرش

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٣٠.

(٢) كليات رسائل النور، الكلمات، سعيد النورسي: ١/ ٥١٣.

(٣) سورة النازعات، الآية ٣٠.

(٤) كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، سعيد النورسي: ٥/ ٢٢٤.

الأرض بالخضرة هو الذي خلق جميع ذوي الحياة من ذلك الماء، وكأنه حصل نوع من المزاوجة والتلقيح بينهما، وما هذا إلا من شأن القدير ذي الجلال الذي يكون وجه الأرض لديه كبستان صغير والسحب التي تحجب وجه السماء عصرات لذلك البستان، يفهم هكذا فسجد أمام عظمة قدرته تعالى، وتفيد تلك الكلمة رتقاً للعالم الكوني، أنه في بدء الخليقة، كانت الأرض والسماء كتلتين لا شكل لهما وعجينتين طريتين لا نفع لهما، فبينما هما مادة لا مخلوقات لهما ولا من يدب عليهما وبسطها الفاطر الحكيم بسطاً جميلاً، ومنحهما صوراً نافعة وزينة فاخرة وكثرة كاثرة من المخلوقات، هكذا يفهم ويأخذه العجب أمام سعة حكمته تعالى، وتفيد هذه الكلمة الفلاسفة المعاصري ن: أن كرتنا الأرضية وسائر السيارات التي تشكل المنظومة الشمسية كانت في البداية ممتزجة مع الشمس بشكل عجينة لم تفرش بعد، ففتق القادر القيوم تلك(١).

(١) كليات رسائل النور، الكلمات، سعيد النورسي: ٤٥٣/١.

المطلب الخامس:

بيان حجة سيدنا إبراهيم عليه السلام

قال تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾(١).

هذه الآية الكريمة تبين معجزة سيدنا إبراهيم عليه السلام وفيها ثلاث إشارات لطيفة.

أولاها: النار كسائر الأسباب ليس أمرها بيدها، فلا تعمل كيفما تشاء حسب هواها وبلا بصيرة، بل تقوم بمهمتها وفق أمر يفرض عليها، فلم تحرق سيدنا إبراهيم لأنها أمرت بعدم الحرق.

ثانيها: إن للنار درجة تحرق ببرودتها، أي تؤثر كالاحتراق، فالله سبحانه يخاطب البرودة بلفظة «سلاماً» بأن لا تحرقي إبراهيم، كما لم تحرقه الحرارة، أي أن النار في تلك الدرجة تؤثر ببرودتها كأنها تحرق، فهي نار وهي برد، يقول الإمام: نعم، إن النار كما في علم الطبيعيات لها درجات متفاوتة، منها درجة على صورة نار بيضاء لا تنشر حرارتها بل تكسب مما حولها من الحرارة، فتجمد بهذه البرودة ما حولها من السوائل، وكأنها تحرق برودتها(٢).

ومن خلال النظر إلى الآيات الصريحة مثل قوله تعالى: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾ وإلى ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾(٣) وإلى ﴿لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾(٤) وإلى ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾(٥) وإلى ﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾(٦) وأمثالها.

ثم تأمل فيما كشفه البشر من مرتبة النار التي لا تحرق ومن الوسائط التي تمنع الإحراق، وفيما أبدعه فكر البشر من الآلات الناطقة بما تتكلم، وفي استخدامه

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٦٩.

(٢) كليات رسائل النور، الكلمات، سعيد النورسي: ٢٨٨/١.

(٣) سورة النمل، الآية ٤٠.

(٤) سورة يوسف، الآية ٢٤.

(٥) سورة يوسف، الآية ٩٤.

(٦) سورة النمل، الآية ١٦.

لأنواع الطيور والحمامات وقس عليها، لترى بين هذين القسمين ملاءمة يحق بها أن يقال في هذه رموز إلى تلك[١]، واستنتج أن تلك الأوراق الطرية الندية كأنها أعضاء إبراهيم (عليه السلام) تقرأ تجاه لفحة الحرارة بقوله تعالى ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا﴾ بعد ذلك طرح سؤال: إننا نبدي احتراماً وتوقيراً لمن يكون سبباً لنعمه علينا، فيا ترى ماذا يطلب منا ربنا الله صاحب تلك النعم كلها ومالكها الحقيقي؟ الجواب: إن ذلك المنعم الحقيقي يطلب منا ثلاثة أمور ثمناً لتلك النعم الغالية:

الأول: الذكر في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[٢].

والثاني: الشكر في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾[٣].

الثالث: الفكر في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ﴾[٤].

(١) كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، سعيد النورسي: ٢٣٩/٥.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٥.

(٣) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

المطلب السادس:

تأثير القليل من العذاب بقصد التهويل والتخويف

قال تعالى: ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾(١).

يقول الإمام: تأمل من كلام رب العزة ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾، المسوقة للتهويل، وتخويف الإنسان، وتعريفه بعجزه وضعفه، فبناء على القاعدة البيانية (ينعكس الضد من الضد) ترى الآية الكريمة تبين تأثير القليل من العذاب بقصد التهويل والتخويف، فكل طرف من الكلام يمد المقصد، وهو التقليل عن جهته وذلك، بالتشكيك والتخفيف في لفظ «إنْ» والمسّ وحده دون الإصابة في «مسّت» والتقليل والتحقير في مادة «نفحة» وصيغتها وتنكيرها، والتبعيض في «من» والتهوين في «عذاب» بدلا من نكال، وإيماء الرحمة في «ربك» كل ذلك يهول العذاب ويعظمه براءة القليل، إذ إن كان قليله هكذا فكيف بعظيمه؟ نسأل الله العافية(٢)، ويرى المتأمل في الآية ﴿وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ المسوقة للتهويل المستفاد من التقليل بسر انعكاس الضد من الضد، أفلا ترى التشكيل في «أن» كيف يمد التقليل، والمس بدل الإصابة في «مسّت» كيف يشير إلى القلة والتروح فقط، والمرتية والتحقير في جوهر وصيغة وتنوين «نفحة» كيف تلوح بالقلة، والبعضية في «منِ» كيف تومئ إليها(٣)، هذه الجملة مسوقة لإظهار هول العذاب، ولكن بإظهار التأثير الشديد لأقله، بأن تتجاوب قيودات الكلام ونظمه وهينته، ويأخذ كل بيد الآخر ويظاهره، ويمد كل بقدرة الغرض الكلي مع ثمراته الخصوصية، كان الغرض المشترك حوض يتشرب من جوانبه الرطبة، فيتولد من

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٤٦.

(٢) كليات رسائل النور، صقيل الإسلام، محاكمات، سعيد النورسي: ١٠٢/٨.

(٣) كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، سعيد النورسي: ٤٥/٥.

هذه المجاوبة المعاونة، ومنها الانتظام ومنه التناسب، ومنه الحسن والجمال الذاتي، وهذا السر من البلاغة يتلألأ من مجموع القرآن(١).

المطلب السابع:

تسخير الجن والشياطين لسيدنا سليمان عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾(٢).

هذه الآية الكريمة تفيد تسخير الجن والشياطين لسيدنا سليمان عليه السلام، ومنعه شرورهم واستخدامهم في أمور نافعة، فتقول الآية إن الجن الذين يلون الإنسان في الأهمية في سكن الأرض من ذوي الشعور، يمكن أن يصبحوا خداماً للإنسان ويمكن إيجاد علاقة ولقاء معهم، فيقول سبحانه وتعالى لقد آتيت عبداً من عبادي حكم مملكة واسعة شاسعة الأرجاء، ومنحته الاطلاع المباشر على أحوال الأرض وأحداثها ليتمكن من تطبيق العدالة تطبيقاً كاملاً، ولما كنت قد وهبت لكل إنسان قابلية فطرية ليكون خليفة في الأرض، فلا ريب أني قد زودته بمقتضى حكمتي ما يناسب تلك القابلية الفطرية من مواهب واستعدادات يتمكن بها من أن يشاهد الأرض بأطرافها ويدرك منها ما يدرك، ومع أن الإنسان قد لا يبلغ هذه المرتبة بشخصه ألا أنه يتمكن من بلوغها بنوعه، وإن لم يستطع بلوغها مادياً، فانه يبلغهما معنوياً، كما يحصل للأولياء الصالحين فباستطاعتكم إذا الاستفادة من هذه النعمة الموهوبة لكم، فيقول الإمام هكذا نرى كيف توحي الآية إلى إشارة همة الإنسان، وبعث اهتماماته لاكتشاف وسيلة يستطيع بها إحضار الصور والأصوات من أبعد الأماكن وأقصاها ضمن أدق الصناعات البشرية(٣).

---

(١) كليات رسائل النور، إشارات الإعجاز، سعيد النورسي: ٥/ ١٢٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ٨٢.

(٣) كليات رسائل النور، الكلمات، سعيد النورسي: ١/٢٨٤.

المطلب الثامن:

مناجاة سيدنا أيوب عليه السلام لربه سبحانه وتعالى

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾(١).

هذه المناجاة اللطيفة التي نادى بها رائد الصابرين سيدنا عليه السلام مجرّبة، وذات مفعول مؤثر، فينبغي أن نقتبس من نور هذه الآية الكريمة ونقول في مناجاتنا: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾، قال الإمام: فهذه القصة مشهورة يمكن أن نلخصها بما يأتي: إنه عليه السلام ظل صابراً ردحاً من الزمن يكابد ألم المرض العضال، حتى سرت القروح والجروح في جسمه كله، ومع ذلك كان صابراً جلداً يرجو ثوابه العظيم من العلي القدير، وحينما أصابت الديدان الناشئة من جروحه قلبه ولسانه اللذين هما محل ذكر الله وموضع معرفته، تضرع إلى ربه الكريم بهذه المناجاة الرقيقة: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ خشية أن يصيب عبادته خلل، ولم يتضرع إليه طلباً للراحة قط، فاستجاب الله العلي القدير لتلك المناجاة الخالصة الزكية استجابة خارقة بما هو فوق المعتاد، وكشف عنه ضرّه وأحسن إليه العافية التامة وأسبغ عليه ألطاف رحمته العميمة(٢).

فهذه الآية تبين نوراً من أنوار كثيرة للكلمات المباركة التي لقراءتها ثلاثاً وثلاثين مرة في كل وقت فضائل كثيرة ولاسيما بين المغرب والعشاء(٣).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٣.

(٢) ينظر: كليات رسائل النور، اللمعات، سعيد النورسي: ٣/١٠.

(٣) المصدر نفسه: ٣/٥.

المطلب التاسع:

دعاء سيدنا يونس عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]، ذكر الإمام النورسي أن ما بين قوله تعالى ﴿أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ﴾ إلى جملة ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ هناك كثير من الجمل المطوية، فتلك الجمل غير المذكورة لا تخلُ بالفهم ولا تسئ إلى سلاسة الآية أذ تذكر الآية الكريمة والحوادث المهمة في حياة سيدنا يونس عليه السلام وتحيل البقية إلى العقل، وكذلك في سورة يوسف فإن ما بين كلمة ﴿فَأَرۡسِلُونِ﴾ إلى ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾[٢]، هناك ما يقارب من ثمان جمل قد انطوت، ولكن دون إخلال بالمعنى ولا إفساد لسلاسة الآية، وأمثال هذه الأنماط من الإيجاز المعجز كثيرة جداً في القرآن الكريم، وهي لطيفة جداً في الوقت نفسه[٣]، فيجب على كل مسلم أن يدعو بدعاء سيدنا يونس عليه السلام المقصود بالآية الكريمة ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ وطرق باب رحمه الله بهما[٤].

ويرى الإمام أنه إذا قال لك الموسوس: ما أنت إلا حيوان مما لا يجد من الحيوانات، النمل أخوك والنحلة أختك، فأين أنت وأين من يطوي السماء ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِ﴾، ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[٥].

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٨٧.

(٢) سورة يوسف، الآية ٤٦.

(٣) ينظر: كليات رسائل النور، المكتوبات، سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٢، مصر سنة ١٩٩٢م: ٤٠٨/٢.

(٤) ينظر: كليات رسائل النور، السيرة الذاتية، سعيد النورسي: ٥٢١/٩.

(٥) سورة الزمر، الآية ٦٧.

فقل له: إن عدم تناهي عجزي وفقري وذلي مع علمي الإذعاني به بصيرٌ مرآة لعدم تناهي قدرته وغنائه وعزته، فهذا السر رقاني من مرتبة إخواني الحيوانات(١)، فاعلم: يا من يضيق صدرهُ ولا يسع فكرهُ عظمة بعض المسائل من الحقائق القرآنية من العظمة والسمو والجاذبية بحيث تبقى أعظم الخيالات وأسطعها قاصرة دونها، وخافتة أمامها، فهذه الحقائق التي لا حد لها في القرآن الكريم شاهدات على ذلك، فاذا شئت أن تشاهد وتتذوق كيف تنشر كل آية من القرآن نور إعجازها وهدايتها وتبدد ظلمات الكفر كالنجم الثاقب، تصور نفسك في ذلك العصر الجاهلي وفي صحراء تلك البداوة والجهل، فبينا تجد كل شيء قد أسدل عليه ستار الغفلة وغشيه ظلام الجهل ولف بغلاف الجمود والطبيعة، إذا بك تشاهد وقد دبت الحياة في تلك الموجودات الهامدة أو الميتة في أذهان السامعين فتنهض مسبحةٌ ذاكرة الله بصدى، قوله تعالى ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾(٢).

(١) كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، سعيد النورسي: ٦/٢١٤ و٤٤٧.

(٢) سورة الجمعة، الآية ١.

المطلب العاشر:

بيان عظمة الله وقدرته

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾(١)

إن القرآن والمنزل عليه القرآن يبحثان عن مسائل عظيمة ويثبتان حقائق جسمية، ويبنيان أساسات واسعة، كأمثال أثبات وحدانية من يطوي السماء ﴿كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٢) ﴿وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ﴾(٣)، بالنسبة إليه(٤)، كما أن الأرض قبضته يتصرف فيها كيفما يريد، كذلك القلب بين أصبعيه يقلبه كيفما يشاء، لا يشُغلهُ كبيرٌ عن صغير، ولا يُلهيه خطيرٌ عن حقير(٥)، فلا يجرؤ أحد أن يرد هذه الشهادة للذرة إلا من يتوهم بحماقة متناهية أنها تملك عيناً بصيرة تتمكن بها قراءة الحروف الدقيقة لذلك الكتاب المبين: نعم: إن الفاطر الحكيم يدرج دساتير لكتابه المبين وأحكامه درجاً في غاية الجمال، ويجعلها في غاية الاختصار، ضمن لذة خاصة لذلك الشيء، وفي ثنايا حاجة مخصوصة له، مثلاً: إنّ البعوضة في حين مولدها ومجيئها إلى الدنيا تنطلق من بيتها وتهاجم وجه الإنسان وتضربه بعصاها الطويلة وخرطومها الدقيق وتفجر به السائل الحيوي، وتمصه مصاً، وهي في هذا الهجوم تظهر براعة عسكرية فائقة(٦).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٤.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٧.

(٣) سورة النحل، الآية ٧٧.

(٤) كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، سعيد النورسي: ٣٤٧/٦.

(٥) المصدر نفسه: ٤٣٩/٦.

(٦) كليات رسائل النور، اللمعات، سعيد النورسي: ١٩٢/٣.

المطلب الحادي عشر:

إرسال الرحمة المهداة للبشرية

قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[١]

ومع بعدنا المطلق عن الله سبحانه وتعالى، فإن نور رحمته يقربه إلينا، فيا أيها الإنسان، إن من يظفر بهذه الرحمة فقد ظفر بكنز عظيم لا يفنى، كنز ملؤه النور، أما طريق الوصول إلى ذلك الكنز العظيم فأعلم: أن اسطع مثالٍ للرحمة، وأفضل من يمثلها، وأبلغ لسانٍ ناطقٌ بها، وأكرم داع إليها، هو الذي سمي في القرآن الكريم ﴿رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ وهو رسولنا الحبيب ﷺ، فالطريق الأمثل لبلوغ تلك الخزينة الابدية هو إتباع سنته المطهرة، ولكن كيف الوصول إلى الرسول الحبيب ﷺ وما الوسيلة إليه ؟ فأعلم أن الوسيلة هي الصلاة عليه، يقول الإمام: نعم، الصلاة عليه تعني الرحمة، فالصلاة عليه دعاء بالرحمة المجسمة الحية، وهي وسيلة الوصول إلى من هو رحمة للعالمين، فيا أيها الإنسان، اجعل الصلاة عليه وسيلة الوصول إليه، ثم استمسك به ليبلغك رحمة الرحمن الرحيم، فأن الأمة جميعها بدعائها وصلواتها على الرسول الكريم ﷺ أنما تثبت بوضوح مدى قيمة هذه الرحمة ومدى أهمية هذه الهدية الإلهية، ومدى سعتها وعظمتها، وإن حاجب خزينة الرحمة الإلهية أكرم داع إليها هو الرسول الكريم محمد ﷺ وأساس ما يفتحها هو الصلوات على الرسول الحبيب ﷺ[٢].

فانظر إلى دعاء النبي ﷺ: وهو يدعو بـــ (يا ارحم الراحمين) ترى الأمة كلهم يقولون: اللهم صلِّ وسلم على عبدك وحبيبك محمدٍ بحر أنوارك، ومعدن أسرارك، ناشر ذكرك وشكرك، ودلال محاسن سلطنة ربوبيتك، فيزكونه عند ربهم، ويحببونه إلى من أرسله رحمة لهم، ويؤيدون شفاعته، وهذه الكلمات المباركة التي تتكرر بعد الصلوات، شاهدتُ أنها ليست تكراراً، بل تأسيس أو تأكيد في تأسيس معانيها متساندة لا متحدة، الحمد لله رب العالمين على رحمته على العالمين التي بعثها وهو سيدنا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

(٢) كليات رسائل النور، اللمعات، سعيد النورسي: ١٥٥/٣.

محمد ﷺ، إذ به وبرسالته استثبت واستقر ما انطفأ تحت كثافة الفلسفة ما في سائر الأديان من أنوار(١).

فإن هذا الكلام يطول عن أكمل إنسان في الوجود، وأعظم من يقود إلى الخير حتى بتصديق أعدائه وأعلاهم صيتاً وأصدقهم حديثاً وأسماهم منزلة وأنورهم عقلاً، فقد صار ﷺ سعادة للبشرية حقاً، لأنه ﷺ قد حول في زمن يسير وبالنور الذي أتي به قوماً غارقين في أشد أمية، وأعرق بداوة، حوّلهم إلى أساتذة العالم وسادته(٢)، اللهم بحق أسرار بسم الله الرحمن الرحيم صلِّ على من أرسلتهُ رحمة للعالمين كما يليق برحمتك وبحرمت ه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأرحمنا رحمة تغنينا بها عن رحمة من سؤال من خلقك آمين، ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(٣).

(١) كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، سعيد النورسي، ٦/١٣٥-١٣٩.

(٢) كليات رسائل النور، الشعاعات، سعيد النورسي، ٤/١٦٦.

(٣) سورة البقرة، الآية ٣٢.

الخاتمة

الحمدُ لله الذي به تتم الصالحات وبه تسهل الصعوبات وجعل رسالة سيدنا محمد ﷺ آخر الرسالات وأيده بأعظم المعجزات منها القرآن المبين، وأضح الآيات التي بها يستنير العقل ويرق القلب ويرتاح الضمير، ومنهجاً لجميع الخلق ورحمة من رب العالمين، وبعد في نهاية بحثي هذا لا يسعني إلا أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث وهي الآتي:

١. وظف الأستاذ النورسي رحمه الله حياته كلها في خدمة القرآن الكريم وكثيراً ما كان ينعت نفسه بخادم القرآن.
٢. إن رسائل النور هي تفسير للقرآن الكريم يختلف عن التفاسير الأخرى وهي برهان للقرآن الكريم ولمعةٌ من لمعات إعجازه المعنوي وشعاع من تلك الشمس وحقيقةٌ ملهمةٌ من كنز العلم.
٣. انبثق الإمام النورسي رحمه الله انبثاق البدر في حلكات الظلام وأدى دوراً تجديدياً عظيماً في تاريخ تركيا الحديثة من رسائل النور وما حوتهُ من تفسير.
٤. دلت الآية الأولى على إثبات وجود الله سبحانه المتصف بجميع الأوصاف الكمالية، ترمز إلى دليل لطيف على التوحيد.
٥. في الآية الكريمة دلالة على أن الملائكة هم عباد مكرمون، فهم أجسام نورانية لطيفه وهم أمة عظيمة، فإن قسم العاملين منهم يحملون ويمثلون وينفذون الشريعة التكوينية.
٦. إن خلق السماء قبل الأرض أو خلقتا معاً وانشقتا من مادة، وإن للنار درجة تحترق ببرودتها، أي تؤثر كالاحتراق، فالله سبحانه يخاطب البرودة بلفظ سلاماً.
٧. بيان كيفية تسخير الجن والشياطين لسيدنا سليمان عليه السلام.
٨. وجوب الاقتداء بصبر سيدنا أيوب عليه السلام لكل مسلم.
٩. يجب على كل مسلم أن يدعو بأفضل دعاء وهو دعاء سيدنا يونس عليه السلام، وطرق باب الرحمة من رب العالمين.
١٠. جعل الصلاة عليه وسيلة الوصول إليه، وأساس مفتاح الخزينة هو الصلاة على الرسول محمد ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

١- أصول الدين الإسلامي، للدكتور رشدي عليان والدكتور قحطان الدوري، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، ط٤، ١٩٩٠م.

٢- تفسير السبع المثاني عند الإمام النورسي، م. طارق خليفة، بحث مقدم إلى مجلس جامعة الأنبار – كلية العلوم الإسلامية، سنة ٢٠٠٩م.

٣- تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، عبدالله ابن عباس رضي الله عنهما (ت ٦٨هـ)، تحقيق مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤- سعيد النورسي، تراثه وفكره، لعبدالله عزت، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية، سنة ١٩٨٩م.

٥- سنن أبي داود ؛ لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٦- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٧- قصة رحيل الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله: في ذكريات عن سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، مصر.

٨- كليات رسائل النور، الإشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٢، مصر، سنة ١٩٩٢م.

٩- كليات رسائل النور، السيرة الذاتية، لسعيد النورسي، شركة سوزلر للنشر.

١٠- كليات رسائل النور، الشعاعات، لسعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر للنشر، ط٢، مصر، ١٩٩٣م.

١١- كليات رسائل النور، الكلمات، لسعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم، ط٢، شركة سوزلر، مصر، ١٩٩٢م.

١٢- كليات رسائل النور، اللمعات، لسعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، شركة سوزلر، ط٢، مصر، ١٩٩٣م.
١٣- كليات رسائل النور، المثنوي العربي النوري، لسعيد النورسي، تحقيق: إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٣، مصر، ٢٠٠٣م.
١٤- كليات رسائل النور، صيقل الإسلام، لسعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر، ط٤، ٢٠٠٤م.
١٥- كليات رسائل النور، ملحق بارلا، لسعيد النورسي، ترجمة إحسان قاسم، شركة سوزلر للنشر.
١٦- مؤلف رسائل النور بديع الزمان سعيد النورسي، لمحات من حياته واثاره، دون مؤلف.
١٧- مختار الصحاح، لزين الدين محمد أبو بكر بن عبد القادر الرازي، تحقيق: حمزة فتح الله، الرسالة العالمية.
١٨- النورسي الرائد الكبير، للدكتور محسن عبد الحميد، شركة معمل ومطبعة الزهراء الحديثة المحدودة، ١٩٨٧م.